الفصل الثالث
اليسر ورفع الحرج

تمهيد:

إن من أول ما يتبادر إلى أذهاننا عندما نطلق كلمة (الوسطيَّة) هو معنى اليسر والتيسير، ورفع الحرج، وهذا الفهم صحيح فإن من أبرز سمات الوسطيَّة: التيسير ورفع الحرج.

وقد تقرر فيما مضى أن هذا الدين هو دين (الوسط)، فلا غلو ولا جفاء، ولا إفراط ولا تفريط. واليسر ورفع الحرج مرتبة عالية بين الإفراط والتفريط، وبين التشدد والتنطع وبين الإهمال والتضييع.

يقول الدكتور صالح بن حميد: (إن رفع الحرج والسماحة والسهولة راجع إلى الاعتدال والوسط، فلا إفراط ولا تفريط، فالتنطع والتشدد حرج من جانب عسر التكليف، والإفراط والتقصير حرج فيما يؤدي إليه من تعطيل المصالح وعدم تحقيق مصالح الشرع)[1].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (البقرة: ١٤٣) فالتوسط هو منبع الكمالات، والتخفيف والسماحة ورفع الحرج على الحقيقة هو في سلوك طريق الوسط والعدل)[2].

ولأهمية بيان عناية الإسلام بهذا الجانب وتأكيده عليه، فسأذكر بعض ما ورد في ذلك من الكتاب والسنة، وأئمة السلف من الصحابة وغيرهم مع ذكر أقوال بعض

---

(١) رفع الحرج في الشريعة الإسلامية (١٣).
(٢) المرجع السابق (١٣).

المفسرين حول آيات التيسير ورفع الحرج وقبل أن أبدأ في ذكر الأدلة من الكتاب والسنة أذكر تعريفاً موجزاً للتيسير ورفع الحرج فأقول:

المبحث الأول
تعريف اليسر والوسع في اللغة والاصطلاح

أ ـ اليسر والوسع في اللغة:

قال ابن منظور في تعريف اليسر: (اليسر: اللين والانقياد، والميسرة: السعة والغنى وتيسر الشيء واستيسر: تسهل، واليسر: ضد العسر)[١].

ب ـ في الاصطلاح (عند المفسرين والعلماء):

وذكر الزمخشري رحمه الله في تعريف اليسر والوسع: (إن الوسع هو ما يسع الإنسان ولا يضيق عليه، ولا يحرج فيه، فالله لا يكلف النفس إلا ما يتسع فيه طوقها، وتيسير عليها دون مدى غاية الطاقة والمجهود، فقد كان في طاقة الإنسان أن يصلي أكثر من الخمس، ويصوم أكثر من شهر ويحج أكثر من حجة)[٢].

وذكر القاسمي في تفسيره أن اليسر: (عمل لا يجهد النفس ولا يثقل الجسم)[٣].
وقال الدكتور صالح بن حميد: (إن اليسر والوسع: ما يقدم عليه الإنسان من غير أن يلحقه مشقة زائدة، ومن غير أن يحتاج لبذل كل ما لديه من طاقة ومجهود)[٤].

المبحث الثاني
رفع الحرج

أ ـ في اللغة: الحرج: (أضيق الضيق، وحرج فلان على فلان: إذا ضيق عليه)[٥].

---

(١) لسان العرب (٥)، كتاب (رز) باب يسر: ٢٩٥).
(٢) الكشاف (١/٤٠٨).
(٣) القاسمي (٣/٤٢٧).
(٤) رفع الحرج في الشريعة (٤٦).
(٥) لسان العرب (٢) كتاب (ج،ح)، باب (حرج) (٢٣٣).

ب ـ في الاصطلاح: (كل ما أدى إلى مشقة زائدة في البدن أو النفس أو المال حالاً أو مآلاً)[١].

قال ابن عباس ﷺ في قوله تعالى:

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج: ٧٨).

(توسعة الإسلام، ما جعل الله من التوبة والكفارات)[٢].

وقال الضحاك[٣] في تفسير الآية: جعل الدين واسعاً ولم يجعله ضيقاً). وقال مقاتل بن حيان[٤]: (لم يضيق الدين عليكم ولكن جعله واسعاً لمن دخله، وذلك أنه ليس مما فرض عليهم فيه إلا وقد ساق إليهم عند الاضطرار فيه رخصة).

وبعد هذا التعريف للحرج يكون رفع الحرج هو:

(إزالة ما يؤدي إلى هذه المشاق الموضحة في التعريف، ويتوجه الرفع والإزالة إلى حقوق الله ﷻ؛ لأنها مبنية على المسامحة، ويكون ذلك إما بارتفاع الإثم عند الفعل، وإما بارتفاع الطلب للفعل، وحينما يرتفع كل ذلك ترتفع حالة الضيق التي يعانيها المكلف حينما يستشعر أنه يقدم على ما لا يرضي الله، وهذا هو الحرج النفسي والخوف من العقاب الأخروي.

كما يرتفع الحرج الحسي حينما يكون التكليف شاقّاً فيأتي العفو من الله ﷻ إما بالكف عن الفعل الموقع في الحرج، وإما بإباحة الفعل عند الحاجة إليه)[٥].

---

(١) رفع الحرج في الشريعة الإسلامية (٤٧).

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٢٠٦).

(٣) هو المفسر الثقة الضحاك بن مزاحم الهلالي أبو القاسم، ويقال: أبو محمد الخراساني، روى عن طائفة من الصحابة، ولم يثبت له سماع من أحد من الصحابة، وثّقه الإمام أحمد، والدارقطني، وغيرهما. كان جليل القدر والعلم في التفسير، أخذ جملة منه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، توفي سنة ١٠٢هـ، العبر (١/ ٩٤)، تهذيب التهذيب (٤/ ٤٥٣)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٤٩).

(٤) أصله من بلخ، ويقال له الخراساني المروزي، وهو أزدي بالولاء، انتقل إلى البصرة وعاش بها يروي على ضعفه وسقوطه عن بعض العلماء عن أئمة، كابن سيرين وعمرو بن شعيب والزهري اتهمه أكثر الأئمة بالكذب والضعف في الرواية والنكارة في الحديث، والجسارة على الكذب، وغير ذلك من الأوصاف الجارحة، توفي سنة (١٥٠هـ) انظر: ترجمة المجروحين لابن حبان (٣/ ١٤).

(٥) رفع الحرج في الشريعة الإسلامية (٤٨).

المبحث الثالث
أدلة التيسير والوسع ورفع الحرج
من الكتاب والسنة، وأقوال الصحابة والتابعين

أولاً: الأدلة من القرآن الكريم:

وردت آيات كثيرة جدّاً تبين أن هذا الدين دين يسر، وأن الله قد رفع الحرج عن هذه الأمة فيما يشاق عليها، حيث لم يكلفها إلا وسعها. وسأبين أدلة التيسير، ثم أدلة رفع الحرج، ثم أدلة عدم التكليف بغير الوسع والطاقة.

١ ـ أدلة التيسير والتخفيف:

قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ (البقرة: ١٨٥) وقال سبحانه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ (النساء: ٢٨) وقال ﷻ: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾﴾ (الأعلى: ٨) وقال في سورة الشرح: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾ (الشرح: ٥ ـ ٦) وفي سورة الطلاق: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ (الطلاق: ٤) وقال ـ جل من قائل: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ (الطلاق: ٧).

هذه بعض الآيات التي تفيد التيسير على هذه الأمة. قال القاسمي في تفسير آية البقرة، قال الشعبي: (إذا اختلف عليك أمران، فإن أيسرهما أقربهما إلى الحق لهذه الأمة)[١].

وقد ذكر المفسرون في تفسيرهم لهذه الآيات أن الله أراد لهذه الأمة اليسر ولم يرد لها العسر[٢].

٢ ـ أدلة رفع الحرج:

من أقوى الأدلة في الدلالة على رفع الحرج قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج: ٧٨).

---

(١) تفسير القاسمي (٣/٤٢٧).
(٢) انظر: تفسير الطبري (٢/١٥٦)، وتفسير ابن كثير (١/٢١٧).

قال الطبري في تفسير هذه الآية: (جعل الدين واسعاً ولم يجعله ضيقاً). قال ابن كثير: (أي: ما كلفكم ما لا تطيقون وما ألزمكم بشيء يشق عليكم إلا جعل الله لكم فرجاً ومخرجاً)[١].

وقال سبحانه: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (المائدة: ٦) وفي سورة التوبة: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ (التوبة: ٩١).

وقال في سورة الأحزاب: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ﴾ (الأحزاب: ٣٨) وفي سورة النور: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ (النور: ٦١).

وفي هذه الآيات دلالة ظاهرة على رفع الحرج عن هذه الأمة، وأن الله لم يجعل في التشريع حرجاً، وبعض هذه الآيات وإن كانت خاصة في أحكام معينة، ولكننا نجد التعليل عاماً، فكأن التخفيف ورفع الحرج في هذه الأحكام والفروض بإعادة الشيء إلى أصله وهو رفع الحرج عن هذه الأمة، فكل شيء يؤدي إلى الحرج لسبب خاص أو عام فهو معفو عنه، رجوعاً إلى الأصل والقاعدة[٢].

٣ ـ أدلة عدم التكليف بما يضاد الوسع والطاقة:

قال سبحانه في سورة البقرة: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ وقال الله تعالى كما في الحديث الصحيح: «قد فعلت»[٣]، وكذلك قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ﴾ (البقرة: ٢٨٦).

قال الدكتور صالح بن حميد: (والوسع ما يسع الإنسان فلا يعجز عنه ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه، فقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي: لا يحملها إلا ما تسعه وتطيقه ولا تعجز عنه أو يحرجها دون مدى غاية الطاقة، فلا يكلفها بما يتوقف حصوله على تمام صرف القدوة، فإن عامة أحكام الإسلام تقع في هذه الحدود، ففي طاقة الإنسان وقدرته الإتيان بأكثر من خمس صلوات وصيام أكثر من شهر،

---

(١) تفسير الطبري (١٧/٢٠٧).
(٢) انظر: الوسطيّة في ضوء القرآن (١٠٦ ـ ١٠٧).
(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب لا يكلف الله إلا ما يُطاق (١/١١٦) رقم (١٢٦).

ولكن الله جلت قدرته ووسعت رحمته أراد بهذه الأمة اليسر ولم يرد بها العسر)[١].

ومن الأدلة على أن التكليف بحدود الوسع والطاقة قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾﴾ (الأعراف: ٤٢) ويقول سبحانه في سورة المؤمنون: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

قال القاسمي: (فسنة الله جارية على أنه لا يكلف النفوس إلا وسعها)[٢] وجاء التأكيد على هذه القاعدة عند ذكر بعض الأحكام الفرعية فقال سبحانه: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة: ٢٣٣).

وكذلك في سورة الطلاق: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ﴾ (الطلاق: ٧) وكذلك أيضاً في سورة الأنعام: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ﴾ (الأنعام: ١٥٢).

هذه هي الآيات التي وردت مبينة أن التكليف بحسب الوسع والطاقة، لا شك أن الأحكام الشرعية إذا كانت مطلوبة في حدود الوسع والاستطاعة دون بلوغ الطاقة، ففي ذلك الدلالة الظاهرة على أن الحرج مرفوع، وأن اليسر سمة هذا الدين، والتوسعة على العباد خاصية من خصائصها، فهي الحنيفية السمحة والوسطيَّة التي لا عنت فيها ولا مشقة[٣].

ثانياً: الأدلة من السنة النبوية:

نعت الله نبيه محمد ﷺ بأنه رحيم بأمته يعز عليه كل ما فيه مشقة عليهم قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ (التوبة: ١٢٨) وظهرت شفقته ورحمته بأمته في السنة النبوية في أقواله عليه الصلاة والسلام وأفعاله وجميع سيرته، بل كان عليه الصلاة والسلام يخشى أن يكون قد أمر أمته أو سلك فيهم طريقاً فيه مشقة أو إعنات، كما كان عليه

(١) رفع الحرج في الشريعة الإسلامية (٦٩).
(٢) انظر: تفسير القاسمي (١٢/ ٤٤٠٥).
(٣) انظر: رفع الحرج (٧٣).

أفضل الصلاة والسلام ينهى أصحابه عن سلوك طريق التعمق والتشدد، وسأبين أحاديث وردت في يسر هذا الدين وسماحته ورفع الحرج عنه، وأحاديث توضح لنا خشية النبي ﷺ أن يكون قد شق على أمته، وأحاديث في أمر الصحابة بالتخفيف عن التعمق والتشديد وإنكار ذلك عليهم.

وما سأذكره من أحاديث يبين أن الدين كله يسر لا عسر فيه ولا حرج، وفيه ما يتعرض لقضايا جزئية كبعض أحكام الصلاة والصيام ونوافل العبادات، ولا شك أن كل ذلك يدل بمجموعه دلالة قاطعة على رفع الحرج عن هذا الدين وبعده عن العسر والمشقة.

أ ـ أحاديث في بيان يسر هذا الدين وسماحته ورفع الحرج عنه:

١ ـ أخرج البخاري في صحيحه تعليقاً: «قيل يا رسول الله: أي الأديان أحب إلى الله؟ قال: **«الحنيفية السمحة»**[(١)].

٢ ـ أخرج البخاري في صحيحه أن رسول الله ﷺ عندما أرسل معاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما قال لهما: **«يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا»**[(٢)].

٣ ـ وأخرج البخاري في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: **«إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا»**[(٣)].

٤ ـ روت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: **«إن الله لم يبعثني معنتاً ولا متعنتاً، ولكن بعثني معلماً ميسراً»**[(٤)].

٥ ـ وفي مسند الإمام أحمد، قال ﷺ: **«إن خير دينكم أيسره، إن خير دينكم أيسره»**[(٥)].

وأهل الكتاب يعلمون أنه ﷺ قد بعث بالتخفيف واليسر ولهذا لما زنى رجل منهم في عهد النبي ﷺ قال بعضهم لبعض اذهبوا بنا إلى هذا النبي فإنه بعث بالتخفيف إلى

---

(١) البخاري، فتح الباري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر (١/١١٦).
(٢) البخاري، فتح الباري، كتاب الآداب، باب يسروا ولا تعسروا (١٠/٥٤١).
(٣) البخاري، فتح الباري، كتاب الإيمان، باب يسر الدين (١/١١٦).
(٤) أخرجه مسلم، كتاب الطلاق، باب تخيير طلاق امرأته لا يكون إلا بالنيّة (٢/١١٠٤) رقم (٤٧٨).
(٥) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/١٨)، رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح.

آخر القصة التي أنكروا فيها الرجم في شريعتهم[١].

ب ـ أحاديث تدل على خشيته ﷺ أن يكون قد شق على أمته:

ثبت عن النبي ﷺ جملة أحاديث تدل على شفقته التامة على أمته، وخشيته أن يكون قد جلب عليها ما يعنتها أو يشق عليها وتجنبه كل طريق يؤدي إلى ذلك وإليك بعض منها:

١ ـ صلى رسول الله ﷺ التراويح ليلة فصلى بصلاته ناس، ثم صلى من القابلة فكثر الناس، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرج إليهم، فلما أصبح قال: **«قد رأيت الذي صنعتم فلم يمعني من الخروج إليكم إلا أني خشيت أن تفرض عليكم،** ـ وفي الرواية الأخرى ـ **فتعجزوا عنها»**[٢].

٢ ـ قال ﷺ: **«لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك»**[٣] بل أنه عليه الصلاة والسلام يخفف الصلاة ويتجوز فيها ـ وهي قرة عينه وفيها الراحة التي ينشدها ـ رفقاً بحال المؤمنين ومراعاة لضعفهم وانشغال بالهم ودفعاً لكل ما يدخل المشقة عليهم.

٣ ـ قال ﷺ: **«إني لأقوم إلى الصلاة وأنا أريد أو أطول فيها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز كراهية أن أشق على أمه»**[٤].

والأحاديث في هذا الشأن من باب المثال لا من باب الحصر.

ج ـ في أمر النبي ﷺ أصحابه بالتخفيف ونهيهم عن التعمق والتشديد وإنكار ذلك عليهم:

بل كان ﷺ يتتبع أحوال بعض الصحابة الذين ينسب إليهم ذلك فينكر عليهم ويوجههم إلى طريق اليسر والاعتدال، وهذه مجموعة من الأحاديث التي توضح هذا وتبينه:

---

(١) انظر: جامع الأصول لابن الأثير: (٣/ ٥٤٥).
(٢) صحيح مسلم مع النووي: كتاب الصلاة، باب صلاة التراويح (٦/ ٤١ ـ ٤٢).
(٣) صحيح مسلم مع النووي، كتاب الطهارة، باب السواك (٣/ ١٤٣).
(٤) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب تخفيف الصلاة، (١/ ٢٠٩، رقم ٧٨٩).

١ ـ كان معاذ بن جبل[١] ﷺ يصلي مع النبي ﷺ ثم يأتي فيؤم قومه، فصلى ليلة مع النبي ﷺ ثم أتى قومه فأمهم فافتتح بسورة البقرة فانحرف رجل فسلم ثم صلى وحده وانصرف، فقالوا له: أنافقت يا فلان؟ قال: لا والله، ولآتين رسول الله فلأخبرنه، فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: إنا أصحاب نواضح ـ وهي الإبل التي يستقى عليها ـ نعمل بالنهار، وإن معاذاً صلى معك العشاء ثم أتى فافتتح بسورة البقرة، فأقبل رسول الله ﷺ على معاذ فقال: «**يا معاذ أفتان أنت؟ اقرأ بكذا**»، وفي الرواية الأخرى: «**سبح اسم ربك الأعلى، والليل إذا يغشى، والضحى**»[٢].

٢ ـ جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: «إني لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا. يقول راوي الحديث ـ وهو أبو مسعود الأنصاري[٣] ـ فما رأيت النبي ﷺ غضب في موعظة قط أشد مما غضب يومئذ، فقال: «**أيها الناس إن منكم منفرين، فأيكم أمَّ الناس فليوجز فإن من ورائه الكبير والضعيف وذا الحاجة**»[٤].

بل قد بلغ الحال ببعض الصحابة رضوان الله عليهم، أن أرادوا الأخذ بعزائم الأمور ومخالفة الرسول ﷺ في بعض ما كان يترخص فيه ـ ظنّاً منهم أنه طريق التقوى والخشية ـ وأن ترخصات النبي ﷺ خاصة به لأنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

وكأن هؤلاء القوم فهموا أن الأخذ بالأشد هو الأتقى وهو الأقرب إلى الله ﷻ؛ لكن الرسول ﷺ أوضح لهم أن الطريق الصحيح هو في الاتباع والاقتداء، وأن اتباع اليسر والسهولة والأخذ برخص الله هو منهج رسول الله ﷺ فهو أعلم الناس بشرعه وأشدهم له خشية[٥].

٣ ـ يوضح ذلك: ما روته عائشة ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أمرهم من

---

(١) هو معاذ بن جبل بن عمرو أبو عبد الرحمٰن الأنصاري، شهد المشاهد كلها، أعلمهم بالحلال والحرام، مات ﷺ في طاعون عمواس سنة ثمان عشر. انظر: الاستيعاب (١٠/ ١٠٤/ ١٠٥)، الإصابة (٩/ ٢١٩).

(٢) صحيح مسلم مع النووي: كتاب الصلاة، باب تخفيف الأئمة، (٤/ ١٨١ ـ ١٨٢).

(٣) هو الصحابي الأنصاري أبو مسعود عقبة بن عمرو بن ثعلبة الخزرجي ﷺ المشهور بكنيته شهد العقبة، واختلف في شهوده بدراً، وقد شهد أحداً وما بعدها، ونزل الكوفة، وكان من أصحاب علي واستخلفه مرة على الكوفة، مات بعد سنة أربعين للهجرة. الإصابة (٢/ ٢٨٤).

(٤) صحيح مسلم مع النووي، كتاب الصلاة ـ باب تخفيف الأئمة ـ (٤/ ١٨٤).

(٥) انظر: رفع الحرج في الشريعة (٨٣).

الأعمال بما يطيقون قالوا: «إنا لسنا كهيئتك يا رسول الله، إن الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فيغضب حتى يعرف الغضبُ في وجهه ثم يقول: **«إنَّ أتقاكم وأعلمكم بالله أنا»**[(١)].

فهو ﷺ الجامع للقوتين العلمية والعملية وعمله ومنهجه هو المنهج المستقيم، وفي هذا الحديث بيان أن الطريق الصحيح والمنهج السليم هو الوقوف عند ما حدده الشارع من عزيمة أو رخصة، واعتقاد أن الأخذ بالأرفق الموافق للشرع أولى من الأشق المخالف له، كما أعلمهم ﷺ أنه وإن كان الله قد غفر له، لكنه مع ذلك أخشى الناس لله وأتقاهم فما فعله ﷺ من عزيمة أو رخصة فهو في غاية التقوى والخشية، ومن هنا ندرك غضبه ﷺ على هؤلاء الذين حاولوا سلوك منهج التعمق والتشدد ظنّاً منهم أن ذلك طريق النجاة، وإذاً فلا غرابة أن رأيناه ﷺ يتعقب الذين يلتزمون التشديد والأخذ بالأشق[(٢)].

٤ ـ ودخل ﷺ مرة المسجد فإذا حبل ممدود بين ساريتين فقال: ما هذا الحبل؟ فقالوا: حبل لزينب، فإذا فترت تعلقت به، فقال ﷺ: **«حلوه ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليرقد»**[(٣)].

٥ ـ وفي السنن عن عقبة بن عامر[(٤)] أن أخته نذرت أن تمشي إلى البيت فقال النبي ﷺ: **«إن الله لا يصنع بشقاء أختك شيئاً فلتركب»** وفي رواية: **«إن الله لغني عن مشيها مروها فلتركب»**[(٥)].

هذه هي سنة رسول الله ﷺ وطريقته: سلوك الطريق الوسط واتباع اليسير، وسلوك غير ذلك رغبة في سنة رسول الله ـ فيه الخطر الشديد والوعيد العظيم المؤدي إلى منهج التنطّع والإفراط، بل لقد ثبت نهيه ﷺ لبعض أصحابه عن التشديد والتكلف

---

(١) صحيح البخاري ـ فتح الباري، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: أنا أعلمكم بالله. (١/ ٨٨ ـ ٨٩، رقم الحديث ٢٠).

(٢) انظر: رفع الحرج في الشريعة (٨٣).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب ما يكره من التشدد في العبادة، (٢/ ٦٠) رقم (١١٥٠).

(٤) هو عقبة بن عامر بن عيسى الجهني، روى عن الرسول ﷺ كثيراً وروى عنه جماعة من الصحابة والتابعين، كان من أهل الصفة، وكان قارئاً عالماً بالفرائض والفقه، فصيح اللسان، شاعراً وهو أحد من جمع القرآن، وشهد فتوح الشام، مات في خلافة معاوية ﷺ. انظر: حلية الأولياء: (١/ ٨)، أسد الغابة (٣/ ٥٥).

(٥) جامع الأصول (١١/ ٥٤٤ ـ ٥٤٦).

ممن التزموا هذا الجانب ما يؤدي بهم إلى الانقطاع وعدم التمكن من المواصلة وإهمال حقوق وواجبات للنفس والأهل وكل من له به تعلق.

٦ ـ فهذا عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ[١] يقول: «قال لي رسول الله ﷺ: **«يا عبد الله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟»** فقلت: بلى يا رسول الله، قال: **«فلا تفعل، صم وأفطر وقم ونم فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً وإن لزوجك عليك حقاً، وإن لزورك عليك حقاً، وإن بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها فإن ذلك صيام الدهر كله»**، فشددت فشدد علي، قلت: يا رسول الله إني أجد قوة، قال: **«فصم صيام نبي الله داود عليه السلام، ولا تزد عليه»**. قلت: وما كان صيام نبي الله داود عليه السلام؟ قال: **«نصف الدهر»**، فكان عبد الله يقول بعد ما كبر: يا ليتني قبلت رخصة النبي ﷺ[٢].

٧ ـ وحينما نهى عليه الصلاة والسلام عن الوصال في الصيام: فقال له رجل من المسلمين: فإنك تواصل يا رسول الله؟ قال: **«وأيكم مثلي، إني أبيت يطعمني ربي ويسقين»**، فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال واصل بهم يوماً ثم رأوا الهلال فقال: لو تأخر لزدتكم، كالتنكيل لهم حين أبوا أن ينتهوا. وفي الرواية الأخرى قيل: إنك تواصل؟ قال: **«إني أبيت يطعمني ربي ويسقين، فاكلفوا من العمل ما تطيقون»**[٣].

وتوجيهات رسول الله في هذا مما يجل عن الحصر في مثل هذا المقام فالسهولة والرفق والأخذ بالأيسر ومراعاة الأحوال ديدنه ﷺ.

ثالثاً: فهم الصحابة والتابعين لرفع الحرج في الشريعة:

أ ـ الصحابة:

صحابة رسول الله ﷺ هم الفئة الذين اختارهم الله ليشاهدوا تنزّل الوحي،

---

(١) هو عبد الله بن عمرو بن العاص السهمي القرشي أحد العبادلة الفقهاء، وقد أسلم قبل أبيه، ثم هاجر قبل الفتح، كان عابداً زاهداً من رواة الحديث، توفي عام (٤٣هـ) ـ انظر الإصابة، رقم (٤٨٣٨). وانظر: حلية الأولياء (١/ ٢٨٣).

(٢) رواه البخاري فتح الباري ـ كتاب الصيام ـ باب حق الجسم في الصوم (٤/ ٢٦٠) رقم الحديث (١٩٧٥).

(٣) البخاري، فتح الباري، كتاب الصيام، باب الوصال، (٤/ ٢٣٨ حديث رقم ١٩٦٥).

ويسمعوا من رسول الله ﷺ أقواله، ويشاهدوا أفعاله ويأتمروا بأوامره مباشرة، ويسترشدوا بتوجيهاته ويقتدوا بتطبيقاته، فهم الذين عاشوا عصر النبوة، كما عاشوا الإسلام خالصاً نقياً لذا فإن أفعالهم وأقوالهم نماذج عملية لإرادة تطبيق الإسلام النقي الصافي، وفي هذا المقام سأورد بعضاً مما أُثِرَ عنهم مما يوضح جوانب عملية في التطبيق والفتوى في العصر الإسلامي الأول بكل ما يتمتع به من سهولة ويسر.

١ ـ يقول عبد الله بن مسعود ﷺ في وصف منهج إخوانه من الصحابة والاقتداء بهم: «من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة»، «أولئك أصحاب محمد كانوا أفضل هذه الأمة وأبرها قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً، اختارهم الله لصحبة نبيه ولإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم على أثرهم وسيرتهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم»[(١)].

ويقول أيضاً: «إياكم والتنطع وإياكم والتعمق وعليكم بالعتيق»[(٢)].

هؤلاء هم أصحاب رسول الله ﷺ وهذا هو منهجهم رسوخ في العلم وبُعدٌ عن التكلف وصلاح في القلوب ومقاومة للتنطع والتشدد لقد كانوا على الهدي المستقيم والطريق الواضح.

٢ ـ عن أنس بن مالك ﷺ قال: (كنا عند عمر ﷺ فسمعته يقول: «نُهِينَا عن التكلف»[(٣)].

قال الدكتور صالح بن حميد: (هذه الصيغة وإن كان لها حكم المرفوع، غير أنها تدل على أن البعد عن التكلف هو منهج عمر وغيره من الصحابة)[(٤)] وقد مر عمر ﷺ في طريق فسقط عليه شيء من ميزاب، فقال رجل مع عمر: (يا صاحب الميزاب، ماؤك طاهر أو نجس؟ فقال عمر ﷺ: يا صاحب الميزاب لا تخبرنا، ومضى)[(٥)].

ب ـ التابعين:

نَهَجَ التابعون ﷺ نَهْجَ رسول الله ﷺ وصحابته الكرام علماً وعملاً وتوجيهاً

(١) منهاج السنة لابن تيمية (١/١٦٦).
(٢) انظر: جامع علوم الحكم، (٢٧٠)، ورفع الحرج (٨٧).
(٣) انظر: إغاثة اللهفان (١/١٥٩)، ورفع الحرج (٨٨).
(٤) انظر: رفع الحرج (٨٨).
(٥) انظر: إغاثة اللهفان (١/١٥٤)، ورفع الحرج (٨٩).

وإرشاداً واقتداء، ولقد كان من طريقهم البعد عن الشدة والتكلف والأخذ باليسير من الأمر وإليك أمثلة من أقوالهم:

١ ـ قال الإمام الشعبي رحمه الله: (إذا اختلف عليك أمران فإن أيسرهما أقربهما إلى الحق[١] لقوله تعالى:

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ (البقرة: ١٨٥)[٢].

٢ ـ وقال معمر[٣] وسفيان الثوري[٤]: (إنما العلم أن تسمع بالرخصة من ثقة فأما التشديد فيحسنه كل أحد)[٥].

٣ ـ وقال إبراهيم النخعي[٦]: (إذا تخالجك أمران فظن أن أحبهما إلى الله أيسرهما)[٧] فإن المتأمل لهذه الآثار من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة يلحظ أن هذا المعنى غائب عن واقع وفهم كثير من المسلمين، وقليل منهم من يدرك هذه الحقيقة ويتعامل معها، حيث إنه يوجد هناك من لو سئل عن هذا الأمر لأجاب الإجابة الصحيحة، ولكن عند التأمل في واقعه وتعامله والتزامه ومنهجه لا نجد إلا الإفراط أو التفريط.

والعجب أن بعض هؤلاء كأنه أغير على دين الله من رسول الله ﷺ، بل من الله جل وعلا الذي يقول: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج: ٧٨) ويقول تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ (البقرة: ١٨٥) ويقول: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ (النساء: ٢٨).

---

(١) انظر: تفسير القاسمي (٣/ ٤٢٧).

(٢) القاسمي (٣/ ٤٢٧).

(٣) هو معمر بن راشد أبو عمرو البصري، نزل اليمن، سمع قتادة والزهري، وغيرهما وروى عنه عبد الرزاق الصنعاني وغيره، ثقة، ثبت فاضل، مات رحمه الله سنة ثلاث وخمسين ومائة.
انظر: التاريخ الكبير (٧/ ٣٧٨)، وميزان الاعتدال (٤/ ١٥٤).

(٤) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، شيخ الإسلام، إمام الحفّاظ، سيد العلماء في زمانه، مات رحمه الله سنة إحدى وستين ومائة، انظر: الجرح والتعديل (١/ ٥٥)، وتاريخ بغداد (٧/ ١٥١).

(٥) رفع الحرج (٩٢). انظر: جامع بيان العلم وفضله (٢٨٥).

(٦) هو الإمام التابعي إبراهيم بن يزي بن قيس بن الأسود، أبو عمران النخعي من أكابر التابعين صلاحاً وصدقاً ورواية وحفظاً للحديث، عاش بالكوفة، وكان إماماً مجتهداً له مذهب خاص توفي سنة (٩٦هـ)، تهذيب التهذيب (١/ ١٧٧)، وحلية الأولياء (٤/ ٢١٩).

(٧) انظر: رفع الحرج (٩٢)، والآثار لأبي يوسف (١٩٦).

وهذا لا يعني ـ أيضاً ـ التفريط والتساهل والتهاون بحجة أن هذا الدين يسر، والتوسعة إلى الشارع لا إلى أهواء الناس ورغباتهم وما ألفوه ودرجوا عليه، فلا إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا جفاء (كلا طرفي قصد الأمور ذميم) ثم إن قضية التيسير والتوسعة قضية منهج متكامل وليست تتعلق بجزئية أو جزئيات كما يتصور بعض الناس.

وبهذا التعريف والشمول ندرك أن هذا الأمر يندرج في منهج الوسطيَّة، التي هي سمة من سمات هذه الأمة، وخاصية من خصائصها، فلن نستطيع أن ندرك حقيقة الوسطيَّة إلا إذا فهمنا سمة اليسر والتوسعة ورفع الحرج، وألا تصبح الوسطيَّة معنى مفرغاً من حقيقته، وقولاً نظريّاً لا وجود له في الواقع، وبذلك يفقد هذا الدين خاصية لها أثرها في حياة الناس ومآلهم[1].

* * *

(١) انظر: الوسطيَّة في ضوء القرآن الكريم (١١٦).

obeikandl.com